•

.

📍 حتميات نبوية

📢 رُوِيَ عن رسول اللّه (ص) أنه قال: "مَنْ جَعَلَ شَهْوَتَهُ تَحْتَ قَدَمَيْهِ، فَرَّ الشَّيْطانُ مِنْ ظِلِّهِ".

لا شيءَ أخطرُ على الإنسانِ من شهواتهِ وأهوائهِ حينَ تَفْلَتُ من عِقالها ، وتَستَبِدُّ بصاحبها تقوده أينَ ومتى وكيفَ شاءَتْ، إنها أكثر أعداء الإنسان خطراً وعُنفاً عليه، تُدَمِّرُ حاضِرَهُ ومُستَقبلَهُ، وتأتي على دُنياه وعلى آخرته،

وتَسلُبَهَ إرادتَهُ واختيارَهُ، وتُصَيِّرَهُ عبداً لها وخاضِعاً لإرادتها، بَدَلَ أن تكونَ خاضعة لإرادَتِهِ ومُستَجيبَةً لِمَشيئَتِه، رُوِيَ عن رسولِ اللّه (ص) أنه قال: "أَعْدَى عَدُوّكَ نَفْسُكَ الَّتي بَيْنَ جَنْبَيْكَ" والمَقصودُ بالنَّفسِ هُنا النَّفْسُ الأمّارَةُ بالسّوءِ، والشهوات الجَموحُ التي تُوقع صاحبها في المعاصي والذُّنوب والأخطاء، وارتكاب الفواحِشِ والموبِقاتِ، حتّى تتلوّث نفسه بتَبِعاتِها المُبعِدَةِ عن ساحة القُدْسِ الإلهي وجَنّة لِقائِهِ، حيث السَّعادة في منتهى درجاتها.

إن نجاحَ الإنسانِ وفَوزَهُ وفلاحَهُ وسعادَتَه، أو فشَلَهُ وخَيبَتَهُ وشَقاءَه في الدّارَينِ يكمُنُ في سيطرَتِهِ على شهواتِهِ وتَحَكُّمِهِ بها وكَبحِ جُماحِها، أو سيطرتِها عليه واستبدادِها به، وجعله رَهينَةً في يَدَيها، هذه هي المعادلة التي لا ينبغي أن تغيب عنّا بحالٍ من الأحوال: مَنْ تَحَكَّم بشهواته وسيطرَ عليها فازَ وأفلح، ومَنْ تَحَكَّمَت به شَهواتُهُ كانت الخيبة عاقبَتَهُ والشَّقاءُ حليفَهُ.

وقد تسأل قارئي الكريم فتقول: إذا لماذا خَلَقَ اللّهُ فينا

الشَّهَوات؟
وأجيبك: إنَّ وجودَ الشَّهوات التي تمثِّلُ غرائز الإنسان ضرورية لتقدمه واستمراره في الحياة، فهي بمثابة المُحَرِّكات التي تدفعُه إلى العمل والتطوير فلولا وجود شهوة الأكل لما بحث عن طعام ليسدَّ جوعه، ولولا شهوة الجِنْسِ لما أنجب أولاداً وتناسل، ولولا شهوة المال لما عمل وأنتج، ولولا شهوة الأنا لما اندفع إلى الإمام يطلب ما ينفعه ويرفع من شأنه ويتجنَّب ما يضره ويسيء إلى سمعته ومكانته، بل إن حُبَّه لذاته هو الذي يدفعه إلى عبادة اللّٰه وطاعته، إذ يدفع بذلك العذاب الدنيوي والأخروي، وبه يفوز بالسعادة التي يرغب بها، وهكذا بقية الشهوات، فلم يُوجدها الخالق الحكيم إلا لغاية شريفة، إذ من المستحيل على حكمته تعالى أن يوجد شيئاً من دون غاية، وهذا ما نعتقد به وبراهيننا عليه كثيرة، وَوُجُودنا وتكويننا البدني والنفسي، يشهدان لذلك.
ولهذا فإن الدِّينَ لا يُلغي شَهَواتِ الإنسان، بل يدعوه إلى

تلبيتها وتغذيتها، ولكن بالطُّرق المَشروعة المَحمودة، فيغذيها بالقَدْرِ اللازم، ويعطيها حاجاتها الضرورية بتوازُنٍ لا يزيد ولا ينقص، والعقل هو الذي يَتَحَكَّم بهذا، ولهذا سُمِّيَ عَقْلاً لأنه يَعْقِلُ ويكْبَحُ جُماحَ الشهوات والأهواء، فتكون الشهوات خاضعة له، ولا يكون خاضعاً لها. وهذا هو الحُرُّ الحقيقي الذي لا ينال منه عدُوٌّ مهما تعاظمت قدرته وقوِيَت شوكته، فإنَّ من لا يكبح جُماح شهواته يصير خاضعاً لها وعبداً، فيَسْهُل على كل الشياطين أن تجتاله وتجتاحه وتستبِدَّ به فتصرفه عن الحق، وعن الله، وحتى عن مصلحته الشخصية الحقيقية، وتأخذه بعيداً إلى حيث تريد ليكون أداة طَيِّعَةً في أيديها.

ويجب أن نعترف أننا في زَمَنٍ أُطلِقَ فيه العَنان للشهوات، شهوة المال، وشهوة السلطة، وشهوة الجنس، وشهوة الإغراء، وشهوة التَّبَرُّج، وشهوة الأنانية المفرطة، وشهوة الظهور والبروز، يحثُّنا على ذلك إعلام شَهواني فاسِدٌ لا هَمَّ له إلا الترويج للشهوات وإثارة الغرائز، حتّى

إنَّ جُزءاً مهماً جِداً من اقتصاد العالم اليوم هو ما يُطلَقُ عليه اقتصاد الشهوات، من مراكز القمار، وبيوت الدعارة، والأفلام الجنسية الفاحشة، والألعاب الإليكترونية، وملايين المواقع على الشبكة العنكبوتية، والآلاف من المصانع التي تُصَنِّع أدوات الفحشاء والمنكَر.

لقد صار معظم الناس اليوم عبيداً لشهواتهم، وأيَّةُ عبودية أذَلُّ من هذه العبودية، عبودية سلبتهم إرادتهم وصَيَّرتهم أدوات بأيدي شياطين العالم وطُغاته، فهم خاضعين خانعين لهم، يُلهونَهم بشهواتهم، ويَحَدِّدون لهم مصائرهم، ويستولون على مقدراتهم وثرواتهم، ولا سبيل إلى تَّحَرُّرِهم منهم إلا بالتَّحَرُّرِ من سيطرة الشهوات عليهم، وتَحَكُّمهم بها، وهذا ما يفعله الدين بالإنسان المتدين حيث يُحَرِّره من المطامع والشهوات والأهواء والنَزَوات، ويربطه بالله خالق الكون والحياة، ويُقَيِّدُ إرادته بإرادة الله وحده، ومن يستعبده الله يُحَرِّرُه من كل ما عداه.

✍ السيد بلال وهبي